

«تيكا» سلاح أنقرة للتموقع من جديد في السودان

هدايا مسمومة يحولها مناصرو البشير إلى ألغام

العمل الخيري

مفتاح أردوغان الصدي

وحتى قبل ظهور فايروس كورونا، أيقن الرئيس التركي أنه بات من المستحيل نيل ثقة المسلمين بعدما كشفت قمة ماليزيا الإسلامية العام الماضي عن فشل أردوغان في تحقيق أحد أهدافه السياسية منذ اعتلائه السلطة بان يكون زعيما معترفا به للعالم الإسلامي. واجبر فشل قمة كوالالمبور أردوغان آنذاك على شن هجوم واسع على المملكة العربية السعودية وذلك في أعقاب فشل الذريع الذي منيت به أحلامه العثمانية الطامحة لقيادة العالم الإسلامي. وكان أردوغان يعول على القمة الماليزية كثيرا لتحقيق مطامعه في الزعامة عبر تأسيس مملكة إسلامية متحدة مع كل من باكستان وماليزيا. ولهذا الأمر، يعتقد المتابعون للشأن السياسي أن الرئيس التركي المحاصر داخليا بأزمة اقتصادية خانقة بات عندما يبشر سلاح العمل الخيري أشبه بمن يحمل مفتاحا صديا لا يمكنه من فتح أبواب الأحلام أمامه.

الرئيس التركي ينتهز فترة الوباء لإحياء أنشطة جمعيات مشبوهة أعزقت سابقا دولا كثيرة في مستنقع الإرهاب

ومنذ نفسي كارثة كورونا تعمل حكومة أردوغان على الاستثمار السياسي، على الصعيدين الداخلي والخارجي، من خلال توظيف الأزمة لترويج الخطاب السياسي لحزب العدالة والتنمية الذي وصل إلى مرحلة يائسة من الاستغلال على مختلف الأصعدة، بحسب ما يلفت معارضون أتراك.

واقطنص أردوغان الوباء كفرصة دعائية له ولحزبه، حيث اطنب في القيام بحركات استعراضية أراد من خلالها الإيحاء بأنه يقدم التضحيات في الحرب ضد كورونا، كإعلانه التبرع بسبعة أشهر من راتبه من أجل تقديم الدعم لحملة التبرعات التي دعا إليها لمحاربة كورونا.

وطغى ضجيج الدعاية الداخلية والخارجية لمواجهة فايروس كورونا في خطابات الرئيس التركي على حقيقة وواقع نفسي الفايروس في تركيا، ولاسيما أنه أعلن قدرة بلاده على التغلب على الوباء في غضون أسبوعين أو ثلاثة - كان هذا الإعلان قبل أسبوع - بينما يفك الأخير بعشرات الأتراك ويحتاج كل يوم بلدة أو مدينة.

ويحذر العارفون بخبايا السياسة التركية من أن تنتهز تركيا فترة الوباء لإحياء أنشطة مشبوهة أقدمت عليها في السابق خاصة منذ عام 2011، أي منذ ما يعرف بالربيع العربي بإغراق الكثير من الدول بجمعيات يشتهر في دعمها للإرهاب وعلى رأسها جمعية قطر الخيرية

ولبت أنقرة طلبا إسرائيليا، حيث قال المتحدث باسم الرئاسة التركية إبراهيم قالن، إن بلاده سترسل مساعدات طبية لإسرائيل بعد أن تلقت طلبا منها لمواجهة كورونا. وأوضح قالن في مقابلة مع إحدى القنوات التركية الخاصة الأحد، «تلقينا طلبا من إسرائيل لتزويدها بمستلزمات طبية، أعتقد أن الشحنة ستكون جاهزة في غضون أيام، وسنرسل بالتزامن مع ذلك مساعدات إلى فلسطين أيضا». وأعرب قالن عن اعتقاده بأن تركيا ستستجوز الأضرار الناجمة عن انتشار فايروس كورونا في أسرع وقت، بسبب صلابته بنيتها الاقتصادية.

أنقرة - يكابد الرئيس التركي رجسب طيب أردوغان رغم كل ما قيل عن المغالطات التي تنشرها حكومته بشأن أزمة كورونا في بلاده، لتوظيف الأزمة على نطاق خارجي يمكنه لا فقط من إعادة التوضع في الشرق الأوسط أو أفريقيا، بل من فتح آفاق جديدة لما يراه إتماما لحلمه بزعامة العالم الإسلامي. وركزت السياسة الاتصالية للرئيس التركي مؤخرا على الدعاية لما تقوم به الجمعيات الخيرية المدعومة من الرئاسة التركية بصفة مباشرة كمؤسسة «تيكا» في دول عدة كالسودان ولبنان وتونس وأذربيجان ومقدونيا من دعم لشعوب هذه البلدان في مواجهة وباء كورونا.

وفي أقل من أسبوع، أكدت الوكالة التركية للتعاون والتنسيق «تيكا» وجمعيات تركية أخرى قيامها بحملات مساعدات لمختلف هذه الدول في إطار ما تسميه الحرس التركي على مساعدة هذه الشعوب على التوقي من الوباء.

وأكدت السفارة التركية لدى بيروت الجمعة الماضي، توزيعها مساعدات غذائية على عائلات فقيرة في منطقتي عكار وطرابلس شمالي لبنان، في إطار الدعم التركي لمواجهة وباء كورونا. وقال السفير التركي هاكان تشاغل، إن «الحكومة التركية أرادت في هذه الفترة التي يعاني فيها العالم أجمع من جائحة كورونا، مساعدة الشعب اللبناني الشقيق في مكافحة هذا الوباء العالمي».

من جهته، لفت كمال مقصود، رئيس الجمعية الثقافية التركية في لبنان (غير حكومية)، إلى أن «تركيا التي لم ولن تنسى إخوتها في العالم، تنفق إلى جانب أشقائها في لبنان في أحلك الظروف». كما أكدت «تيكا» في نفس اليوم تقديم نظام تصوير طبي لمستشفى تونسي، من أجل علاج مرضى فايروس كورونا، مشيرة إلى أن النظام تم منحه إلى مستشفى «عبدالرحمن مامسي» للأمراض الصدرية بمدينة أريانة، قرب العاصمة تونس، خصصته الحكومة لعلاج مرضى كورونا.

كما أعلنت أيضا عن إقدامها على توزيع مساعدات في دول أخرى كغينيا وأذربيجان وأرمينيا ودول أخرى في القارة الأفريقية موجهة مجددا أن ذلك يدخل في خانة العمل الخيري بالاتفاق مع منظمات أخرى دولية كالهلال الأحمر أو الصليب الأحمر. ويرجع المراقبون هذه الخطوات التركية، علاوة على البحث عن موطء قدم في هذه البلدان، إلى تواصل طموح أردوغان في تنفيذ رغباته ونزواته الاستعمارية عبر الترويج كونه الزعيم الأمثل للعالم الإسلامي.

ويرى المتابعون أن الصورة التي يريد أردوغان ترويجهما عن نفسه خاصة في ما يتعلق بتبنيه الدائم للقضية الفلسطينية، قد خدشت في أذهان الكثير من مناصريه في كثير من الدول العربية والإسلامية عقب الإعلان عن نيته إرسال مساعدات طبية تركية لإسرائيل.

وفي السودان أو الصومال أو غيرهما، عبر استقطاب المواطنين الذين يعانون من أوضاع صعبة والتفاعل معهم بشكل دوري بغطاء توزيع المساعدات على الفقراء وتدشين مشروعات خيرية. وكشف لـ «العرب»، أن تركيا استطاعت أن تحصل على جملة من المكاسب السياسية جراء تلك المشروعات، مكتنحة من إقامة علاقات قوية مع دوائر اقتصادية نافذة رأت في الهيئات التركية والقطرية وسيلة للتخفيف عنها في مناطق النزاعات. ويؤدي تجاهل السلطة الانتقالية السودانية للأنشطة المشبوهة التي تقوم بها «تيكا» إلى تغولها في البلاد، وتحولها إلى عنصر ضغط قوي يصعب مقاومته لاحقا، مع تراكم الأزمات التي يعاني منها السودان، وتساعد الاستفزاز التركي لفلول البشير الذين يعتبرون تركيا الوكيل الإسلامي، وتدفعهم إلى التصود عبر ضخ المزيد من المساعدات السياسية والاقتصادية.



توظيف الأزمات عقيدة تركية

«تيكا» في توزيع المساعدات بصورة لا تخلو من انتقائية.

وقال الباحث السياسي السوداني، عبدالمنعم إيوادريس، إن نشاط «تيكا» لا ينفصل عن توجه الحكومة التركية التابعة لها التي تحاول أن تظهر وجهها الإنساني بعيدا عن التباينات السياسية مع الحكومة الانتقالية، في محاولة لاستمرار حضورها القوي بإقليم دارفور، لأن الوكالة أصبحت أحد أهم أدواتها في الإقليم المضطرب.

وأوضح في تصريح لـ «العرب»، أن الاتفاقات التي وقعها الرئيس التركي البشير قبل رحيله عن السلطة تضمنت منح أدوار أكبر للوكالة التركية في المجالات الإغاثية بالتعاون مع الوكالات السودانية العاملة في هذا المجال، وتحاول أنقرة تفعيلها عبر مشروعات مختلفة تعلن عنها من وقت لآخر، حتى تتجنب حدوث جمود لا إرادي في العلاقات.

تركز «تيكا» على إبراز دور تركيا كداعم للشعب السوداني، وتتجاهل إثارة ملف استقبال العديد من العناصر الإسلامية والمحسوبة على نظام البشير في إسطنبول، بالتالي التغطية على الدور الخفي الذي تلعبه لتغيير المزاج العام الداعم للحكومة الانتقالية، بعد أن استضافت تركيا قنساء «طبيبة» المملوكة للإخواني عبدالحى يوسف، وقررت استمرار بثها من تركيا، عقب قيام السلطات السودانية بوقف بثها من الخرطوم وتحفظت على مقراتها وأموالها.

وأكد الخبير السوداني في شؤون الأمن القومي، الرشيد محمد، أن الخطورة تكمن في تعامل تركيا مع «تيكا» باعتبارها إحدى أدوات القوة الناعمة التي تعتمد عليها في القارة الأفريقية، وليس كجهة مساعدات وكفى، فالوكالة تستهدف إيجاد بيئة خصبة لإقامة نواة لإمارات إسلامية في السودان أو الصومال أو غيرهما، عبر استقطاب المواطنين الذين يعانون من أوضاع صعبة والتفاعل معهم بشكل دوري بغطاء توزيع المساعدات على الفقراء وتدشين مشروعات خيرية.

وتكشف لـ «العرب»، أن تركيا استطاعت أن تحصل على جملة من المكاسب السياسية جراء تلك المشروعات، مكتنحة من إقامة علاقات قوية مع دوائر اقتصادية نافذة رأت في الهيئات التركية والقطرية وسيلة للتخفيف عنها في مناطق النزاعات. ويؤدي تجاهل السلطة الانتقالية السودانية للأنشطة المشبوهة التي تقوم بها «تيكا» إلى تغولها في البلاد، وتحولها إلى عنصر ضغط قوي يصعب مقاومته لاحقا، مع تراكم الأزمات التي يعاني منها السودان، وتساعد الاستفزاز التركي لفلول البشير الذين يعتبرون تركيا الوكيل الإسلامي، وتدفعهم إلى التصود عبر ضخ المزيد من المساعدات السياسية والاقتصادية.

وتحافظ الحكومة الانتقالية على الأدوار التركية الملتوية، ولم تستطع حتى الآن اتخاذ إجراءات صارمة لتقويضها تماما، مع أنها تاتي بنتائج تضر بالأمن القومي للبلاد، بل تحاول التعامل مع أنقرة بطريقة براغماتية لتحقيق مصالحها، وهي مدركة أنها تسعى للقبض على زمام الأمور وتحريكها بما يدعم حلفائها من الإسلاميين، وتتعمد ألا يكون ذلك باستخدام أدوات مباشرة، لكن من خلال الأساليب التي تنتهجها

انزرها في البلاد، خاصة من المتواجدين بكثافة في دارفور، ويبرهن التركيز على هذا الإقليم على أن هناك أبعادا سياسية في مناطق النزاعات التي تشهد تدخلات تركية وقطرية مشبوهة. ويثبت إعلان «تيكا» مؤخرا إنتاج أقمعة وإرسالها إلى العاملين في المستشفى التركي السوداني للأبحاث والتعليم بمدينة نيالا هذا المعنى، ويؤكد أن سلاح المساعدات يتم توسيع نطاقه لتحقيق أهداف سياسية لم تعد خافية. وتحاول أنقرة الوصول إلى عناصر التنظيمات الإسلامية المتمركزة في السودان، والإيحاء بأن الدعم الذي تقدمه منذ فترة لا زال مستمرا ولم يتراجع، ويظهر ذلك من خلال زيادة تحركات فلول البشير ضد الحكومة الانتقالية لإحراجها ووضع العراقيل أمامها وتقسيل مهمتها في مواجهة كورونا، كي تضطر للتعاون مع أنقرة، ولا تنشغل بعملية تصفية أذنب البشير.

وتلجأ تركيا إلى سلاح المساعدات التي تقدمها «تيكا» بطرق مختلفة لتكون قريبة من صدارة المشهد حتى لو كان ذلك بشكل ضئيل، لكنها تتداخل مع الدور الذي تقدمه جمعيات قطرية تتواجد بكثافة في دارفور التي تعد نقطة انطلاق نحو تنظيمات متشددة تعيش في الهامش والأطراف.

سياسة مزدوجة

ذهب البعض من المراقبين للتاكيد على أن أنقرة تستخدم سياسة مزدوجة في علاقتها مع السلطة الانتقالية في الخرطوم، حيث تظهر كأنها تعمل لتقديم المساعدات عبر «تيكا» في مجالات عدة على رأسها التعليم والصحة، وتريد من الوقت ذاته تسهيلات تمكنها من دفع مشروعها الساعي لتوظيف السودان كقطنة انطلاق لها نحو العمق الأفريقي والبحر الأحمر.

من هنا يمكن فهم الدور السياسي الذي تلعبه «تيكا» في شكل إنساني وإغائي، وتفسير اقترابها من المجتمع التحتي الذي يؤثر على الأمن والاستقرار في البلاد، كما أن تغلغها يساعدها على تحريك القواعد الإسلامية لمضايقة السلطة الانتقالية وشغلها بترتيب أمورها بعيدا عن استهداف تركيا وأزرها التي تعمل وفقا للخطة التي وضعتها «تيكا».

وتحتفظ الحكومة الانتقالية على الأدوار التركية الملتوية، ولم تستطع حتى الآن اتخاذ إجراءات صارمة لتقويضها تماما، مع أنها تاتي بنتائج تضر بالأمن القومي للبلاد، بل تحاول التعامل مع أنقرة بطريقة براغماتية لتحقيق مصالحها، وهي مدركة أنها تسعى للقبض على زمام الأمور وتحريكها بما يدعم حلفائها من الإسلاميين، وتتعمد ألا يكون ذلك باستخدام أدوات مباشرة، لكن من خلال الأساليب التي تنتهجها

تراهن السياسة التركية على انفتاح السلطة الانتقالية في السودان على جميع الدول للدفع نحو إعادة التوضع السياسي في البلاد عبر تجنيد الوكالة التركية للتعاون والتنسيق «تيكا» لتقديم هدايا مسمومة للخرطوم في إطار مواجهة فايروس كورونا والتي بإمكانها أن تتحول إلى ألغام تصعب مقاومتها. ويحذر الكثير من المتابعين من تجاهل السلطة الانتقالية لهذه الممارسات التركية التي قد تؤدي بالنهاية إلى تصاعد الاستفزاز في صفوف فلول البشير.

وترى أنقرة أن لديها الحظوظ الكافية لحصد مزيد من المكاسب في السودان، والاستفادة من نهج السياسة الخارجية الذي تتبناه الخرطوم والذي يقوم على الانفتاح على الجميع دون أن تضع حدا لعلاقتها مع الأنظمة التي تستهدف إثارة القلاقل والفضوض، بينها النظام التركي الذي زاد نشاط سفيره في الخرطوم عرفان نذير أوغلو، ولم يلق اعتراضا من الجهات الرسمية هناك.

السفير الغامض

تتعامل تركيا مع الترحيب الذي يلقاه سفيرها في الخرطوم على أنه ضوء أخضر لعدم التوقف عن تقديم المساعدات التي تقدمها «تيكا»، وفهمت عدم الحسم مع أنقرة إشارة بأن هناك إمكانية لتطوير العلاقات وليس انحسارها وربطها بالنظام السابق، الأمر الذي منح تركيا تصميمًا على استمرار تصوراتها وتصرفاتها بقدر جيد من الحركة السياسية والاقتصادية.

والتقى مدني عباس مدني، وزير التجارة والصناعة السوداني، بالسفير التركي في الخرطوم في فبراير الماضي، وأكد الأخير أن بلاده مستعدة لتقديم المساعدات اللازمة لدفع الاقتصاد وتنمية قدراته في مختلف المجالات، بعد ذلك التقى أوغلو برئيس حركة الإصلاح (إسلامية) غازي صلاح الدين العتباتي، ما أثار تساؤلات حول الدور المزدوج الذي تلعبه أنقرة في السودان.

وثمن عرفان أوغلو، دور بلاده في مساندة سكان بعض المناطق التي تعاني شحًا في المياه من خلال حفر الآبار التي توفر للأهالي المياه النقية، وخص من أسماهم بـ«فاعلي الخير الأتراك» في منطقة الفاشر بدارفور بالذکر، حيث افتتحوا بئر ماء لتوفير المياه لسكان المنطقة، وتكر المشهد في منطقة نيالا بإقليم دارفور، وبحسب السفير التركي، بات بإمكان الآلاف من الأشخاص الحصول على المياه النقية.

ولا تبدي الحكومة السودانية اعتراضها كثيرا على الأنشطة الإنسانية التركية في ظل انهيار النظام الصحي ونزرة المياه النقية، لكن من دون أن يتحول الأمر إلى تطور إيجابي لافت في العلاقات السياسية، فلدى السلطة الانتقالية حسابات عديدة قبل الإقدام على خطوة الانزراط في تعاون وثيق مع نظام رجسب طيب أردوغان. وتستهدف المساعده، وخطط لتنفيذ عمليات إرهابية في الخرطوم.

الخرطوم - دبت الحياة في دبلوماسية المساعدات الإنسانية في أنقرة، واستخدمت جائحة كورونا لتواصل نشاطها في السودان عبر الوكالة التركية للتعاون والتنسيق «تيكا» التي أصبحت واحدة من أدوات السياسة الخارجية التركية.

وتستثمر تركيا في أنشطة «تيكا» بضح أموال كبيرة، بوصفها تؤدي إلى تحقيق الغايات بطريقة نامعة، ونجحت من خلال هذا التوجه في أفريقيا عموما، حتى وصل عدد مكاتب «تيكا» إلى حوالي 30 مكتبا، تنتشر في شمال وجنوب

وشرق القارة.

وتتعامل تركيا مع المساعدات المقدمة إلى السودان أخيرا على أنها الوسيلة الناجعة لاستعادة نفوذها الذي فقدت جزءا كبيرا منه عقب الإطاحة بنظام عمر حسن البشير، وأظهرت انفتاحا متعمدا على السلطة الانتقالية في الخرطوم لتأسيس علاقات تمكنها من صرف النظر عن توجيه مساعداتها نحو عناصر تنظيم الإخوان ممن يبحثون عن دور حيوي لهم.

أنقرة تعتقد أن حظوظها وافرة لحصد مكاسب في السودان عبر الاستفادة من نهج السياسة الخارجية السودانية المنفتح

وسلّط وسائل إعلام تركية الضوء، الثلاثاء الماضي، على دور مركز التدريب في السودان التابع لـ«تيكا» التي تعمل تحت غطاء وزارة الثقافة والسياحة التركية، وما يقدمه المركز من دعم للخرطوم، مثل إنتاج أقمعة طبية وأقبة اللوجه لتوزيعها على الكوادر الطبية السودانية، وأوحت أن المركز هو النافذة التي تبعد رباح كورونا عن السودان.

وتحاول أنقرة تبييض وجهها وإبعاد الشبهات عنها مع كشف وقائع فساد عديدة في السودان، تورطت فيها جهات وشخصيات محسوبة عليها، وتسعى إلى التأكيد على نفسي علاقتها بأحداث عنف طالت السودان، خاصة محاولة الإغتيال الفاشلة التي تعرض لها عبدالله حمدوك رئيس الحكومة، وجاءت بعد نحو شهر من إعلان الخرطوم ضبط خلية سرية تابعة لتنظيم الإخوان دخلت البلاد بجوازات سفر تركية، وخطط لتنفيذ عمليات إرهابية في الخرطوم.